أسس الايديولوجية الصهيونية

ماهر الشريف

لقد استطاعت الايديولوجية الصهيونية خلق جسم مترابط من الافكار المنبثقة عن المعتقدات والاساطير والحوادث التاريخية حقيقية كانت أم مزيفة ، لتخفي بذلك تاريخ نشوئها والتناقض الصارخ القائم بين شكلهـا ومضمونها الطبقـي . وتقوم هـذه الايديولوجية الرجعية على « ديماغوجية اجتماعية بلا حياء ، وتؤثر على أناس مؤمنين غير ثابتين ايديولوجيا وغير واعين سياسيا »(١) . ويعتمد مبشروها في الترويج لها على العاطفة لا على الفكر ، كما يعتمدون على جهل البعض بالدوافع والظروف التاريخية التي رافقت ولادتها .

الايديولوجية الصهيونية هي بنية فوقية معقدة ، مبنية بشكل دقيق ، قادرة على التكيف حسب الظروف المختلفة ، بحيث أصبح وعي ملايين الناس تجاهها ـ يهودا أو غير يهود ـ عاجزا عن التمييز بين الحقيقة والميتافيزيقيا ، بين ما هو صحيح وما هو مزيف تاريخيا ، بين ما ينفع وما يضر بالجماهير اليهودية . وأصبح كل نقاش يدور حول جوهر هذه الايديولوجية وأصل نشوئها التاريخي ، لا يقوم بنـاء على وقـائع مادية ملموسة ، وانما بناء على قضايا مجردة متعلقة بالايديولوجية مثل : الايمان ، التميز ، التراث الثقافي ، الطموح القومي ، الحقوق « التاريخية » ، اللاسامية الابدية . . . الخ. وهكذا يحل المفهوم المثالي والخلقي للتاريخ ، القائم على أساطـير وتنبؤات تاريخية يفترض أنها ما زالت حية منذ القدم حتى يومنا هذا ، محل مفهومه المادي والديالكتيكي. ان محاربة الصهيونية كايديولوجية رجعية وكشف تضليلاتها ليس ضربا من اللاسامية كما يدعي أنصارها ، وذلك استنادا الى المعادلة التي وضعوها : معاداة الصهيونية يعني اللاسامية ، وانما العكس هو الصحيح تماما .

ان محاربة الايديولوجية الصهيونية ، تهدف الى منع جميـع اليهود من تبني هذه الايديولوجية العنصرية والعدوانية . انها تهدف الـى معـارضة موضوعة « الحقـد الابدي على اليهود » بالاخوة والتضامن الاممي بين الجماهير الكادحة قاطبة ، انهـا تهدف الى الفصل مع « لينين » بين « الصفات النبيلة والتقدمية للثقافة اليهودية » وبين الموضوعات الشوفينية العرقية التـي تصفها الصهيونية بـ « التراث الثقافي للشعب اليهودي » ، لتخفي بذلك أنها موضوعات ايديولوجية ، وضعتها طبقة اجتماعية معينة ـ البرجوازية الكبيرة اليهودية ـ لتخدم أهدافها الطبقية وسخرتها لخدمة الامبريالية العالمية .

تنحصر الافكار الرئيسية للصهيونية كمـا صاغها « كلاسيكيوها » تيودور هرتزل وليو بنسكر وبورخوف وغيرهم بما يلي : « اليهود هم شعب الله المختار » و« اليهود هم شعب ذو مصير تاريخي وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الاخرى » و« كل يهودي ينتمي الى « الامة اليهودية » » و« يجب على اليهود أن يطمحوا لموطنهم القديم ـ فلسطين ـ » .